الحياة AL HAYAT
الأحد ٢٧ شباط (فبراير) ٢٠١١ الموافق ٢٤ ربيع الأول ١٤٣٢ هـ/ العدد ١٧٤٩٥
ALHAYAT SUNDAY 27 FEBRUARY 2011 ISSUE NO 17495

قالت إنها تفوق فرجينيا وولف في حلمها وإنها تريد أن تنتج وعياً وليس كتباً

الموشي: كتابتي تمس ثقافة القهر... والمرأة «موشومة» بنصف كينونة

□ أكدت الكاتبة سالمة الموشي أنها تكتب من أجل أنسنة نون النسوة، بعد أن فقدت الإنسان كاملاً، مشيرة إلى أن النساء موشومات بنصف عقل ونصف كينونة. وتقول إن الكتابة بالنسبة إليها وعي الحياة من حولها، شكل المصير الذي تخوض فيه.

وترى في حوار مع «الحياة» ان النسوية هي فلسفة علاقة الإنسان ببنية الحياة التي تشكله وتؤثر فيه. لافتة إلى أنها ضد تصنيف الإبداع وأن الكتابة هي حالة وعي بالذات، مشددة على أنها تريد أن تنتج وعياً وليس كتباً فقط. إلى تفاصيل الحوار:

□ الرياض - عبدالله وافية



● في كتابك «نساء تحت العرش» وقبله «الحريم الثقافي» كيف تختار سالمة الموشي النص الذي تكتبه؟

– تتشكل بذهني ملامح الكتابة التي أقدم على اقترافها بكثير من الحب الكبير والتعب الكبير، كمرحلة أولى ومن ثم اختار النص الذي سأدونه على الورق، الكتابة بالنسبة إلي هي وعي الحياة من حولنا، شكل المصير الذي نخوض فيه ولهذا كان اختيار نص «نساء تحت العرش» وهو تعبير مجازي عن المصير الذي تعيشه النساء على امتداد الزمان والمكان تحت سماوات كونهن. جميعنا نحيا تحت عرش السماوات ولكن كيف نحيا هذا هو السؤال. فأنا أكتب لأنسنة نون النسوة حيث فقدنا إنساننا الكامل ومضينا كنساء موشومات بنصف عقل وبنصف كينونة وبكثير من الأسئلة والصمت.

● تعملين بجدية على أنسنة نون النسوة هل أنت كاتبة نسوية؟

– إن كان بحث الإنسان عن تفسير لمعطيات حياته ككائن نوعي، أو خوضه في تفاصيل نمط الحياة المتاحة هو «نسوية» فنعم أنا «كاتبة نسوية» امتلك أدواتي ولي فلسفتي الخاصة لكل المبادئ والأفكار التي أتبناها. فالنسوية كخطاب هي فلسفة علاقة الإنسان ببنية الحياة التي تشكله وتؤثر فيه. لست مع تصنيف الإبداع الكتابة هي حالة وعي بالذات، الوعي هو ميزة الكاتب أريد أن أنتج وعياً وليس كتباً فقط. فالكتب والأوراق تبلى وقد توضع على أرفف المكتبات، لكن الوعي هو ديمومة واستمرارية وبقاء.

● عنوان الكتاب «نساء تحت العرش» مشوّق للقراءة هل ترين أنه سيحقق هدفه وإلى أي حد سيسهم في التغيير؟

– يؤثر الأدب في البنية الروحية تماماً كما الفكرية وعلى هذا أراهن. ذكرت من قبل أن كتابي سيكون بمثابة دليل لكل النساء لا ادعي القدرة على التغيير الكبير، إنما لدي القدرة لأقول عبر «النص المكتوب» هنا شيء ما يحدث «وهنا طريق ما يمكننا عبوره» طرح الخيارات للقارئ هي في حد ذاتها تغيير، وهدف هذه الخيارات يجب أن تمس روح الإنسان الذي يرغب في أن يقرأ نصاً يقول له: «أنت حر» بعكس نص يقول له كن كذا وكذا.

كتب كثيرة لا تحقق انتشاراً بعكسك كتب حققت انتشاراً كبيراً العبرة ليست بالانتشار والكثرة، هناك كتب كتبت لتكون مدعوة لحفلة احتفاء عامرة وبعضها كتبت لتكون في قلب التاريخ والفكر. وهذا هو مقياس التغيير. من المهم ألا نقيس أهمية أي كتاب بزمن انتشاره، بخاصة إن كان يخاطب العقل والوعي، فهناك كتب سوقت وروج لها بشكل منقطع النظير، ولكن ما أن تتوقف الجوقات عن التصفيق والتطبيل حتى يبهت بريق الورق وتذهب العناوين الكبيرة ويبقى المعنى والوعي. بالنسبة إلى أي حد سيحقق كتابي هدفه أو سيسهم في التغيير فأنا لا أستطيع أن أتنبأ به تماماً، إنما أقول إني كتبت مؤمنة بما أكتبه ورسمت خريطة طريقي إلى حيث يكون المعنى والوعي حقيقياً.

● ما الذي يحملك إلى الكتابة؟

–الكتابة لحظة تنوير تحدث في الوعي، اكتب لأني اكتظ بالكثير من الاغتراب والقلق والألم وعدم القدرة على الصمت أمام ما يحدث حولي أحاول أن أوسع دائرة الكتابة فأجعل قلمي مشرطاً يمس ثقافة الظلمة وثقافة القهر، الكتابة تحررني من اغترابي الداخلي وتحرض حواسي على منطق التفكير، الكتابة بالنسبة إلي معبر إلى أشياء أخرى فكل ما اكتبه انتمي إليه لهذا اكتبه لأرفضه أو اكتبه لأخلق بديلاً عنه.

● ما الملهم في العناوين التي تحملها كتبك، بخاصة وأنها جريئة وتذهب بعيداً في المشاكسة؟

– كل عنوان كتاب عليه أن يكون منسجماً مع محتواه، والعنوان كما نعلم مهم جداً مثلما هو صورة الغلاف كذلك. ومن هنا لا بد أن يكون محرضاً ومعبراً في الوقت نفسه. فالقارئ يبحث بداية عن عنوان ومن ثم على العنوان أن يكون ضمن اهتمامه. فالقارئ يتساءل: هل من أحد رأى النقصان؟ ومن هن النساء اللواتي تحت العرش؟ كان هذا هو الملهم في عنوان كتابي، إضافة إلى اختياره ليكون معبراً عن المعنى تماماً.

● هل النساء اللواتي تكتبين لهن وعنهن، مقهورات أو مغيبات فكرياً؟

– هن مزيج من هذا وذاك، هن موجودات حقيقة ولكن اختلاف نظرتهن إلى أنفسهن هي المغيبة، فالمقهور المبخس حقه قد لا يعلم أنه كذلك والمغيب فكرياً لا يعي انه كذلك، هناك تماه كبير بواقعهن يجعلهن منسجمات ظاهرياً مع نمط الحياة المعاش سواء علمنا به عن وعي أم من دون وعي. الفكرة تكمن في لحظة الوعي التي قد تكون بمثابة وعي شقي، لأنه يصعب الخلاص مما وعين عليه ولهذا يصبح وعياً شقياً. نسائي اللواتي أعيش بينهن واكتب لهن وعنهن حقيقيات وموجودات ولسن بالضرورة قادرات على رؤية منطقتهن. ولكني سأكتب عنهن وسأكتب لهن ولن أتوقف عن الكتابة، فأنا أتحرك ضمن دائرتهن بحثاً عن قوة لتغيير شيء ما. ثمة أبواب كثيرة مغلقة على النساء، ووراء كل باب هناك روح امرأة مغيبة ومنتقصة.

● في داخلك جموح واندفاع كبير، في المعنى الإيجابي للكلمة، باتجاه قضايا مصيرية، قضايا لا تقبل المساومة، حدثيني عنك؟

– من الصعب أن يختصر الإنسان من يكون على وجه التحديد، إنما أنا روح محلقة لا انتمي لأية توجه وقلم حر. أكتب ما أؤمن به وأناضل كثيراً وطويلاً لأكون خارج أسوار الحريم وخارج الهامش. أناضل من أجل أن اكتب بعض صفحات كل يوم، الأرض ضيقة علي وسماواتي عالية كثيراً، متحررة في الوقت الذي لم أتمكن من أن أتحرر دفعة واحدة فالأشياء العظيمة لا تحدث بسهولة. أؤمن بأن الإنسان الكامل يخلقه وعينا وبأن خلاص هذا العالم يكمن في السلام واللاعنف.

● هل تحلمين كما حلمت فرجينا وولف، في كتابها «غرفة تخص المرء وحده» وهل أتعبتك السباحة ضد التيار؟

– أحلامي اكبر من حلم فرجينا وولف، هي تحلم بغرفة تخص المرء وحده لتكتب وأنا أحلم بوطن لأكتب فيه وله، لهذا فأنا أفوق فرجينيا وولف في حلمها كثيراً. شتان بين من يحلم بأن يكتب في غرفة وبمن يكتب في وطن. الفارق بيني وبين وولف أنها انتحرت وهي تضع الحجارة في ملابسها لتغرق أكثر في النهر، بعكس ما يحدث لي حيث أرغب في الحياة وفي رمي كل الحجارة التي تثقلني لأكتب. السباحة عكس التيار أصعب مما تبدو عليه، انها تجديف ضد قوة تفوق احتمال الإنسان أياً كانت أهدافه.

● في كتابك إشارات دينية كثيرة يجعله كتاباً فكرياً أكثر من كونه كتاباً موجهاً إلى النساء؟

– بداية الكتاب ليس موجهاً للنساء فقط، هو كتاب موجه للقارئ الذي يقرأ بوعي بمعنى ليس قارئاً مصنفاً أو محسوباً على أي اتجاه فكري. ثم لماذا هناك اعتقاد دائم أن أي كتاب يوجه للنساء لا بد أن يكون إما كتاباً دينياً بحتاً أو كتاباً موجهاً تماماً. نعم في الكتاب إشارات دينية لأنه كتاب يخاطب العقل والفكر ويقارب الوعي والمنطق. ببساطة انه كتاب قائم على قراءة ثقافية ذات بعد خاص أكثر من كونه بحثاً عن إجابات دقيقة.

الشاعر اليمني شوقي شفيق يتكئ على بصيرته

■ بين قصيدة النثر وقصيدة التفعيلة وبعض التقنيات الأخرى يأتي ديوان الشاعر اليمني شوقي شفيق بعنوانه الطويل «حين انفق الكائن بصيرته في الخيبات وفي رواية أخرى» (دار النهضة العربية) مزيجاً من الأفكار والتقنيات الشعرية وبأداء لغوي يتراوح بين المتانة واليومي من دون إن يسقط في النثرية كثيراً. ليس غريباً إن تكون اللغة ثرية في النصوص الموزونة وسهلة في تقنية النثر وأحياناً اقرب إلى العامية بسبب استخدام بعض التعابير الدارجة رغم قلتها.

الموضوعات التي يطرحها شوقي شفيق في نصوصه مستوحاة من الحياة العربية الرثة من جوانبها كافة ولكنها معالجة بلغة اقرب ما تكون إلى اللغة المترجمة التي ترهقها بين وقت وآخر استخدامات شعبية تعيدها إلى واقعها. ولأن النصوص التي ضمها الديوان غير مؤرخة فإننا لن نعرف إن كانت النصوص الموزونة قديمة أم جديدة، لكننا لن نحتاج إلى تفكير طويل لمعرفة تأثيرات الشاعر سعدي يوسف عليها.

والمقارنة بين النصوص المنشورة في الديوان تجعلنا ندرك أين تكمن البلاغة وأين يكمن اليومي والمألوف وما مدى تأثير ذلك على قيمة النصوص وقوتها، فاللغة وحدها تستطيع أن تدلنا على ذلك.

«أب في البرزخ ينتج ضوءه الشخصي/ مكملاً سيرة الرحيل العائلي المبدوءة بالجدة الأولى/ كنت تظن أيها الولد المشغول بسلالة العبارة/ إن الجنائز ما عادت قابلة للخروج من بيت العائلة/ ها هو نعش آخر كي يسقط رهانك/ وها جثة لم ترها تتجه نحو فخامة المقبرة/ من دون إن تلقي عليك ترتيلة الوداع». هذا مقطع صغير من أول قصيدة طويلة في الديوان معنونة «إلى أبي».

ولا بد من الإشارة هنا كيف تجعل بعض الاستخدامات اللغة شعبية أو عامية وكيف يمكن التخلص من هذه المشكلة التي يقع فيها شعراء كبار وجدد في الوقت نفسه. ولننظر إلى البيتين الأخيرين من هذا المقطع، أولاً البيت الذي يبدأ بحرف الإشارة « وها » والبيت الآخر الذي يبدأ من حرف الجر « من » وكيف اسقطا المقطع في النثرية واللغة العامية. فالحرف« ها » يلفظ أكثر مما يكتب ووجوده زائد مثل حرف الجر «من» في البيت الثاني. ولكي نبرهن على ذلك سنقوم بحذف حرف الإشارة وحرف الجر لنقترح قراءة جديدة للمقطع/ الديوان ولنرى ما الذي سيتغير.

«جثة لم ترها تتجه نحو فخامة المقبرة/ دون إن تلقي عليك ترتيلة الوداع» ألا يلاحظ المتابع هنا كيف أصبح البيتان مكثفين وغير عاميين وفوق ذلك تصاعد نبرة الموسيقى الداخلية؟

هذا ما يتعلق بالنصوص النثرية وعلاقتها باليومي واللغة العامية. والآن سنختار مقطعاً آخر من قصيدة موزونة مكتوبة على احد البحور الصافية هو المتقارب «فاعلن فاعلن فاعلن».

«لست تملك من عدة البحر إلا بقايا ملوحته والخفايا التي تركتها النساء على شاطئ يابس/ هجرته النوارس واصطخبت بين أركانه الرافعات وحمى الوقيعة ليس سوى الأصدقاء الذين مضوا والذين يخونون/ ها هو البحر يرحل عنك وقد كنت عاشقه وسليل خطاه/ وها أنت لست سوى ملحق باهت في سداه/ أما كنت تغزل بعض نسائك عند تخوم واقعة وتربي جنونك عند مصباته؟». هذا المقطع من قصيدة «انشطار المغني» وهي كما هو واضح تذكرنا بقصيدة الستينات في الشعر العربي والعراقي على وجه الخصوص ولكنها قصيدة سلسة وملمومة ومبنية على معمار لغوي متين وليست فيها كلمات أو حروف زائدة وللوزن هنا دور كبير في ذلك.

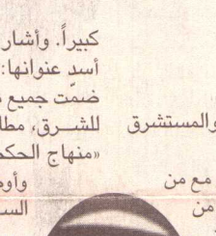
شوقي شفيق.

قلنا إن اللغة هي المؤشر الوحيد لقياس متانة أي نص من عدمه وهنا نريد إن نقارن بين اللغة التي كتبت فيها النصوص التي جاءت بتقنية قصيدة النثر والنصوص الموزونة في الديوان.

هناك مفارقة في النصوص النثرية التي كتبها الشاعر شوقي شفيق في هذا الديوان وهو القادم إلى قصيدة النثر بعد تجربة طويلة مع القصيدة الموزونة، وأصدر أكثر من أربعة دواوين فيها. فلا اللغة صافية متينة ولا الإيقاع الداخلي محسوس وكأن الشاعر لم يعرف الإيقاع يوماً فجاءت بعض النصوص خافتة وتحتاج إلى توتير وتحفيز وشد لكي تتوازى مع المعاني الكبيرة التي تطرحها.

أفكار طيبة كثيرة في النصوص النثرية تلاشت بسبب الترهل اللغوي الذي أصابها وكان يمكن لها إن تبزغ بقوة الإيقاع من طريق النحت والحذف وتكرار بعض الحروف في البيت الواحد لخلق الموسيقى لا ندري كيف غابت عن شاعر مثل شوقي شفيق؟

هناك نصوص نثرية أخرى جاءت في نهاية الديوان مختلفة عن بقية النصوص يقترب فيها الشاعر من صاحب المواقف والمخاطبات النفري، لكنه لحسن الحظ في هذه النصوص لا يقع في ما وقع به في النصوص الباقية ربما بسبب التقنية المختلفة التي كتبت بها. «أوقفني في العدد قال/ واحد أنا. لا يحصيني سواي/ ولا يجمعني عدد/ أنا متكثر ومتجمع في أحديتي/ وليس سواي يمنحك الكلام علي».

صلاح حسن

الشبيلي: محمد أسد.. «هبة» أوروبا إلى الإسلام

□ الرياض - مشعل العبدلي

■ أكد الدكتور عبد الرحمن الشبيلي أن المفكر والمستشرق المسلم محمد أسد كان ثروة إسلامية كبيرة.

وقال إن من شكك في إسلامه التبس عليه الأمر مع من شكك في إسلام المؤرخ عبدالله فيلبي، مضيفاً أن من يقرأ تراث أسد لا بد من أن يقتنع بإسلامه، حتى أن مراد هوفمان وصفه بأنه هبة أوروبا إلى الإسلام حيث قال عنه: إنه لا يعرف أحداً خدم الإسلام في القرن الماضي مثله.

جاء ذلك في محاضرة قدّمها الشبيلي عن أسد في خميسية حمد الجاسر صباح الخميس الماضي، وتحدث فيها عن سيرة حياته وركّز على كتابه الذائع الصيت «الطريق إلى مكة»، مشيراً إلى أن اختلاف طبعاته وما حدث في بعضها من تشويه كان بسبب أن ناشريها أرادوا تيسير نشره بعد تغيير ما رأوا أنه يقع ضمن اختلافات وجهات النظر وليس لآرائه الدينية.


عبدالرحمن الشبيلي.

في المحاضرة قال الشبيلي أن كتابات أسد الصحافية الأولى في الصحف الألمانية والسويسرية أظهرت محبته للعرب والإسلام ما جعل القوى الصهيونية تستنكر عليه ذلك، رغم أنه من أسرة يهودية متعصبة جداً كانت تتوقع له شأنا دينياً كبيراً. وأشار المحاضر إلى أطروحة قدمها «غونتر انتاقر» عن أسد عنوانها: «محمد أسد: من دالسيا إلى الجزيرة العربية»، ضمّت جميع مقالاته وتقاريره الصحافية التي كتبها قبل هجرته للشرق، مطالباً بترجمتها إضافة إلى كتابين آخرين له هما: «منهاج الحكم في الإسلام» و «الإسلام على مفترق طرق».

وأوضح أن تعثره الدراسي وفشله في الإنتاج السينمائي بعد ذلك، جعله يهوى الصحافة حتى برع فيها كاتباً للتقارير في رحلاته لبلدان الشرق الأدنى مصر وتركيا وإيران وبلاد الشام وغيرها، إلى أن انتهى به المطاف إلى القدس ليعتنق الدين الإسلامي عام ١٩٢٦، متأثراً بإقامته في المجتمع الإسلامي.

وقال الشبيلي إن كتابه «الطريق إلى مكة» تطرق إلى علاقة أسد بالملك عبدالعزيز، مستشهداً بحادثتين تؤكدان علاقتهما، وهي إرساله من الملك إلى الكويت لمعرفة مصادر أسلحة الإخوان بعد معركة السبلة، وتكليفه برحلة إلى ليبيا لمدّ الثوار بالأسلحة إبان الاستعمار الإيطالي، مضيفاً أن الكتاب يعدّ أنفس الكتب التي صدرت في القرن الماضي، إذ كتبه بعد إقامته في المدينة مدة ٦ سنوات، واحتوى عروضاً جميلة لمغامراته وطرائق رحلاته في نجد والحجاز، مشيراً إلى أن لأسد ترجمة للقرآن الكريم لم تكتمل، وكذلك ترجمة لصحيح البخاري.

تفوق المنظمات ونجاحها مرهون بالاتجاهات الحديثة

□ الرياض - أسماء العبودي

■ نجاح المنظمات وتفوقها يتمثل في القوى العاملة وإدارتها وتطوير أدائها والمحافظة عليها، فهي أهم الموجودات في المنظمات، وحاول هنا مؤلف كتاب «الاتجاهات الحديثة في إدارة الموارد البشرية» (الوراق للنشر والتوزيع) الباحث الإداري محمد زويد العتيبي، أن يزاوج بين النظريات الحديثة في إدارة الموارد البشرية والتطبيقات العملية المميزة، مؤكداً أن هناك قصوراً في معظم الإصدارات العربية في هذا الجانب.

وقسم المؤلف كتابه إلى ثمانية فصول، استعرض في البدء الاتجاهات الحديثة في إدارة الموارد البشرية، من خلال ما طرحه خبراؤها، والذي برز منهم الخبير العالمي «ديف أرلش» مؤلف كتاب «نصير الموارد البشرية» والذي تناول نموذجه الذي طبق في العديد من الشركات الأميركية من خلال تطبيقها لأربعة أدوار رئيسية هي: الشراكة الاستراتيجية، إدارة التغيير والتحول، إدارة البنية التحتية، وإدارة مساهمة العاملين.

وتناول في هذا الفصل مفهوم إدارة الموارد البشرية من خلال تعريفها، وتطرق إلى أهميتها كإدارة، لأنه عن طريقها يمكن تحقيق التكاليف الأقل والفعالية الأكثر، ومن ثم وضح أهمية تطبيق الاتجاهات الحديثة في إدارة الموارد البشرية والتي تشمل: التغيير التنظيمي، الحكومة الالكترونية، وكون الموارد البشرية أهم أصول وموجودات المنظمة.

وتناول في الفصل الثاني تحليل وتخطيط القوى العاملة لأهميتها في تحديد الأعداد اللازمة لأي منظمة في الوقت الراهن أو للتخطيط المستقبلي لتحديد الأعداد لسنة قادمة أو لسنوات أخرى ليحد هذا الأمر من المفاجآت المربكة سواء بنقص القوى العاملة أم زيادتها.

وفي الفصل الثالث عرض المؤلف لـ «الاستقطاب الوظيفي» وهي جزء من ورقة عمل قدمت في وقت سابق في أحد المؤتمرات، وتحدث فيها عن طرق وإجراءات الاستقطاب التي تستخدمها المنظمات، وتناول ايجابيات وسلبيات كل طريقة وإجراءات الاستقطاب المستخدمة في عصر الانترنت. وتناول المؤلف في الفصل الرابع طرق اختيار القوى العاملة وشرح بالتفصيل مفهوم الاختيار، وطلبات التوظيف ونماذجه، كما تطرق لـ «المقابلة الوظيفية» واستعرض نماذج منها والاتجاهات الحديثة في استخدامها للمفاضلة الوظيفية.


محمد العتيبي.

أما الفصل الخامس من الكتاب فقد تناول الاختبارات الوظيفية وأهميتها وتطرق لأنواعها المختلفة التي تشمل اختبارات الذكاء، والاستعداد والقدرات، والميول والاتجاهات، والاختبارات الشخصية والأداء. واستعرض نماذج متعددة منها، كما تناول في فصله السادس الاستقطاب والاختيار الوظيفي بالمملكة، وشرح أنواع المنظمات المحلية وأدوارها. وتحدث أولاً عن طرق وإجراءات استقطاب المرشحين للوظائف الشاغرة بوزارة الخدمة المدنية، والمؤسسات العامة، كما استعرض تجربة معهد الإدارة العامة كأحد المؤسسات العامة، وخصص في الجزء الثاني من الفصل الحديث عن اختيار القوى العاملة بالمملكة سواء من الخدمة المدنية أم المؤسسات العامة المختلفة.

وفي الفصل السابع تعرض لتقويم الأداء الوظيفي وأهميته وطرق التقويم والاتجاهات الحديثة في استخدامه ومدى فعاليته وحرص على استعراض العديد من النماذج المستخدمة في العديد من الجهات الحكومية والأهلية. وتضمن الفصل الأخير العديد من التطبيقات التي تربط مواد الكتاب، التي استعرضت بتطبيقات تربط الجانب النظري بالجانب التطبيقي.

مثقفون جزائريون ينددون بالفساد

أين تذهب أموال الثقافة في الجزائر؟

□ الجزائر - بشير مفتي

■ تشهد الجزائر حالاً من التململ والغضب الصامت وهو اذا انفجر مع ثورة الشباب في تونس ومصر فسيكون غامضاً وغير واضح، أبكم، وكأنه لم يجد بعد طريقه ليظهر مكبوتات الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية. وإذا كان الأمر يرجع إلى اوضاع الجزائر التي لا تختلف عن غيرها من اوضاع البلدان العربية التي ثارت جماهيرها اخيراً أو التي في طريقها الى الثورة، فالمشاكل واحدة والمغرب في الهم شرق. والجزائريون يشعرون بنوع من الخوف الذي يعود الى سنوات العنف والدم القاتلة التي ذهب ضحيتها أكثر من ٢٠٠ ألف قتيل وفق الإحصاءات الرسمية وهو الشبح الذي ما زال يجثم على أذهان الجميع وأصبح أيضاً بمثابة «الفزاعة» التي يظهرها النظام لإعاقة أي محاولة جريئة لكسر هذا الحاجز النفسي. ويتذكر الجزائريون ثورتهم الشبابية في أكتوبر ١٩٨٨ التي قادت إلى كسر شوكة الحزب الواحد الذي كان يحكم البلاد بالطريقة نفسها التي كان يحكم بها الحزبان الحاكمان في تونس ومصر، غير أن ذلك التغيير المبكر الذي قاد الى تحولات ظاهرية مثل الانتقال الى التعددية السياسية وإطلاق سراح الإعلام الحر والمستقل سرعان ما تحول الى أمر آخر بعد فوز حزب إسلامي راديكالي في أول انتخابات تعددية، ما جعل الجيش يوقف المسار الانتخابي، وبدأت بعد ذلك مرحلة العنف الدموية التي أكلت الأخضر واليابس وعطلت كل شيء وقادت الجزائر إلى هاوية مخيفة لم تخرج منها بسهولة. عاد الأمن وعادت الحياة الطبيعية الى الجزائر بعد ما عرف بالمصالحة الوطنية التي تزامنت مع وفرة مالية كبيرة أسالت لعاب الجميع، ولكن لم تتحسن مع ذلك ظروف معيشة الملايين من الجزائريين الذين كانوا يشعرون بأنهم أُهملوا وهمشوا وليس لهم أمل في المستقبل القريب ولهذا انتشرت ظاهرة الهجرة غير الشرعية وظاهرة الانتحار وكثر الحديث في الجرائد الوطنية عن الفساد والمفسدين وغياب سلطة القانون والعدالة والأمن.

خلال الفترة الأخيرة أصبح الفساد الذي راح يتغلغل في شرايين الحياة الاقتصادية واليومية يثير الاشمئزاز والضغط، بخاصة مع الكم الهائل من أخبار الرشوة التي كانت تنشرها الجرائد اليومية وهو الذي جعل الجميع يتساءل عن عدم قدرة الدولة على مكافحة هذه الظاهرة لحماية ثروة الجزائريين من النهب اللامحدود الذي تتعرض له. ولم تشذ الثقافة عن هذا الوضع، فهي تميزت ايضاً بوفرة المال وغياب المراقبة التي من شأنها تحصين عملية صرفه وجعله يساهم بالفعل في تنمية ثقافية مزدهرة تحتاج الجزائر إليها، ما دامت الثقافة هي جوهر أي حضارة تريد أن يكون لها موقع تحت الشمس. يتوجه المعترضون من الكتّاب والمثقفين بخاصة إلى خليدة تومي وزيرة الثقافة الجزائرية التي كانت لها فرصة كبيرة في مناسبات مهمة كالجزائر عاصمة للثقافة العربية ٢٠٠٧ والمهرجان الإفريقي وقد خصصت لهما موازنات ضخمة لتحقيق قفزة نوعية للفعل الثقافي والممارسة الثقافية. غير أن الجميع لاحظ أن تلك الطفرات المنتظرة لم تحدث، بل على العكس تعاملت الوزارة المعنية مع الحدثين بطريقة «مناسباتية» ظرفية ولم يكن لهما أثر يذكر في المشهد الثقافي الغارق في ظروف صعبة وفي ظل ما صار يعرف بالفساد الثقافي الذي يقول عنه بعضهم إنه جزء من هذا الفساد العام الذي ينتشر كالجراد في الجزائر الكبيرة.



المسرح الوطني في الجزائر.

في هذا السياق المضطرب يقول الروائي أمين الزاوي بكثير من الاستياء والحزن: «في الوقت الذي أصبحت الدولة الجزائرية سخية، كريمة كرم الحاتمي على الثقافة، فتصب أسطورة حاسي مسعود ذهبها الأسود في دور الثقافة ودور النشر ودور السينما ودور المتاحف، وأنا سعيد لهذا «الصب»، وأطالب بأكثر منه، ومثلي كثير من المثقفين والكتّاب والأدباء، وكأني بأنبوب البترول أو الغاز هذا، الذي من المفروض أن يصب في الجهة الأخرى للمتوسط، كأني به قد ضيّع مجراه فتم تحويله إلى وجهة أخرى تسمى وجهة الثقافة أو جهة الثقافة. وأنا سعيد لهذا التحويل ولو كان من باب الخطأ أو القرصنة أو التهريب. ولكنني، وفي الوقت نفسه، حزين لحال المبدعين والكتاب وقد تفرقوا «شذر مذر»، كما يقول القدامى، ونحن في هذه البحبوحة المباركة، حين أقرأ حكاية راقصي وراقصات الباليه «الوطني» الذين اغتنموا، بل تصيّدوا، أول خرجة لهم للاحتفال بأعياد «ثورة نوفمبر المباركة»، وما أدراك ما رمزية أول نوفمبر، في مونتريال في كندا، كي يمزّقوا بطاقة العودة ويطالبوا سلطات هذا البلد بمنحهم حق اللجوء السياسي أو الفني أو الثقافي أو سمّه ما شئت. لم يحدث مثل هذا الأمر حتى أيام حكم الرئيس هواري بومدين الذي كان متشدداً والذي أغلق علينا أبواب الجزائر أرضاً وسماء وماء، أغلقها على رؤوس العباد، لم يحدث هذا حتى أيام قيادة المرحوم محمد شريف مساعدية للحزب الواحد وإصداره المادة ١٢٠ الشهيرة، يحدث هذا الآن في زمن التعدد الحزبي و «تشراك الفم والمال الكثير».

وبعث الروائي سمير قسيمي برسالة إلى رئيس الجمهورية بعنوان «إنهم يقتلون الكتاب باسم فخامتكم» عبّر فيها عن هذا الوضع الثقافي المزري بحيث يقول: «هذه ليست شكوى، إنها تقرير واف عن حالة موت مستعجلة، ارفعه إليكم ورجائي أن يجد أذناً تصغي وقلباً يفهم وعيناً تبصر ويداً تبطش بزبانية الكتاب وقتلة الكُتّاب ممن جعلتهم رعاة على أقدس مَا في الأمة على الإطلاق، هؤلاء الذين استأمنتهم على روح الشعب، تلك المسماة ثقافة. إنني أرفع إليك هذا التقرير الصارخ بمعاناة صُنّاع الحلم وحملة الأمل من مبدعين وكتّاب وجدوا أنفسهم رهائن جزّاري ثقافة لم تعد تحمل من اسمها في فترة استيزار السيدة خليدة تومي إلا تلك الصورة السخيفة التي ارتسمت في أذهان العامة كلما ذكرت لهم، من أنها هذر لا طائل من ورائه إلا المزيد من الهذر. تلك الصورة المتجذّرة في معظم وسائل الإعلام من أنها مزبلة، يلقى فيها الضعاف والمشكوك في قدرتهم وتمكنهم».

ونشر الأستاذ الجامعي إبراهيم صحراوي بياناً قصيراً عبر صفحته في «الفايسبوك» تحت عنوان «تعالوا نتناقش حول الفساد الثقافي» ومما جاء فيه: «وماذا عن الفساد الثقافي؟ لنتحدّث قليلاً عن هذا الأمر. ولنتحدّث أيضاً عن بعض من يتشدّقون بالمعارضة اليوم وهم ألصق من غيرهم بالمؤسسات القائمة، نهبوا مع من نهب وأكلوا مع من أكل وعلى كلّ الموائد.. طبّلوا للجميع وساندوا الجميع وغرّدوا وما زالوا مع كلّ الأسراب.... تجدهم في كل التظاهرات الثقافية شرقاً وغرباً ووسطاً وشمالاً وجنوباً... يقرأون نصوصاً عفا عليها الزمن حفظناها من كثرة ما ردّدوها. لنحذر هؤلاء ممن يأكلون على مائدة معاوية ويُصلّون وراء علي... ويبقى أكبر وجه من وجوه الفساد في الجزائر الحديثة مهزلة اتحاد الكتّاب الجزائريين وكيف سيرته بعض أجنحة السلطة وبعض المتنفعين والأذناب المرابطة بها ممن سبق ذكرهم».

ولعل الأمور معرضة للمزيد من التصعيد خلال الأيام المقبلة.